[100] لدي وقد قدمت إليكم بالوعيد " وقوله: " اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون " فان ذلك في مواطن غير واحد من مواطن ذلك اليوم الذي كان مقداره خمسين ألف سنة. والمراد يكفر أهل المعاصي بعضهم ببعض، ويلعن بعضهم بعضا، والكفر في هذه الآية البراءة، يقول: يتبرأ بعضهم من بعض، ونظيرها في سورة إبراهيم عليه السلام قول الشيطان: " إني كفرت بما أشركتمون من قبل " (1) وقول إبراهيم خليل الرحمن: " كفرنا بكم " (2) يعني تبرأنا منكم. ثم يجتمعون في موطن آخر يبكون فيها فلو أن تلك الاصوات بدت لاهل الدنيا لزالت جميع الخلق عن معايشهم وانصدعت قلوبهم إلا ما شاء ا، ولا يزالون يبكون حتى يستنفدوا الدموع ويفضوا إلى الدماء. ثم يجتمعون في موطن آخر فيستنطقون فيه فيقولون: " وا ربنا ما كنا مشركين " وهؤلاء خاصة هم المقرون في دار الدنيا بالتوحيد، فلم ينفعهم إيمانهم با مع مخالفتهم رسله، وشكهم فيما أتوا به عن ربهم، ونقضهم عهودهم في أوصيائهم واستبدالهم الذي هو أدنى بالذي هو خير، فكذبهم ا بما انتحلوه من الايمان بقوله: " انظر كيف كذبوا على أنفسهم " (3) فيختم ا على أفواههم وتستنطق الايدي والارجل والجلود، فيشهد بكل معصية كانت منهم، ثم يرفع عن ألسنتهم الختم فيقولون لجلودهم: " لم شهدتم علينا ؟ قالوا أنطقنا ا الذي أنطق كل شئ " (4). ثم يجتمعون في موطن آخر فيفر بعضهم من بعض لهول ما يشاهدونه من صعوبة الامر، وعظم البلاء، فذلك قول ا عزوجل: " يوم يفر المرء من أخيه [وامه وأبيه وصاحبته وبينه] " (5) الآية

_____

(1) ابراهيم: 22. (2) الممتحنة: 4. (3) الانعام: 24. (4) فصلت: 21. (5) عبس: 36 - 38.

_____